نظرات في لغة الاموريين في ماري والى تهم

بقلم اندره كاكو

تعريب وتلخيص الدكتور جورج حداد

من معهد الآثار الافرنسي في بيروت

(خلاصة المقال المنشور في القسم الغربي من المجلة(١))

لا نرى لزوماً لتذكير القارىء بالأهمية التاريخية لاكتشافات اندره بارو Parrot في تل الحريري (ماري) وخاصة بالدور الحاسم الذي لعبته دراسة وثائقها في تقرير التاريخ البابلي الجديد . فقد اعلمتنا هذه الوثائق بان شمشي حدد الاول ملك آشور كان معاصراً لحورابي ملك بابل كما انها سمحت لوليم اولبرايت Albright بان يتبين بان امير جبيل « ياتنين حامو » المذكور في هذه النصوص هو « آنتين » المذكور في الوثائق المصرية للسلالة الثانية عشرة . وإذا نظرنا الى الكتابات الكثيرة الموجودة في ماري بحد ذاتها فاننا نرى فيها اغنى المصادر التي تلقي ضوءاً على مجموعة قديمة جداً من السكان الساميين المعروفين تقليدياً باسم اموريين .

لقد دهش علماء التاريخ البابلي الآشوري منذ زمن بعيد بوجود اسماء اعلام سامية انما شكلها غريب عن النوع الأكادي في اسماء السلالات السامية التي تبعت سلالة اور الثالثة (اي في سلالة ايسن وسلالة بابل الأولى) كما في اسماء المناطق المجاورة للعالم الأكادي وخاصة في النصوص الآشورية القديمة في كبادوكية . والعناصر الموجودة في هذه الأسماء تحوي خصائص في التركيب والصوت تذكرنا باللغات السامية التي أتت فيما بعد كالكنعانية والآرامية والعربية . وقد رأى بعض العلماء مثل بونيون Pognon وسايس وهومل ان حاملي هذه الأسماء كانوا عرباً ، ولكن العالم دورم حذر من هذا الاعتقاد منذ عام ١٩٠٨ ورأى ان كثيراً من عناصر هذه الأسماء يجب اعتبارها كنعانية وآرامية . وفي ١٩٢٦ حاول باور Bauer ان يقرر بان

---

(١) يمكن مراجعة المصادر القيمة لهذا البحث في هوامش المقال الأصلي في القسم الغربي من المجلة .

هذه الأسماء كانت بالحقيقة كنعانية ورفض نظرية كلاي Clay القائلة بان هذه الأسماء تبرهن عن ضغط سكان ساميين على ما بين النهرين يختلفون عن الأكاديين الذين اسسوا سلالة سرجون. ويعتقد « باور » ان اصحاب هذه الأسماء ليسوا اموريين وانما كنعانيين شرقيين. على ان مبالغة باور حملت العالمين اولبرايت ودورم على توضيح الأمور والقول بان هذه الأسماء ليس فيها عناصر تشبه الكنعانية فقط وانما فيها مايشبه غيرها. وقد تكلم نوت Noth في ١٩٢٩ عن العناصر الآرامية في الامورية واقترح بان تدعى هذه الأسماء آرامية اولية.

غير ان اكتشافات ماري قد سمحت لنا بالحصول على اسماء جديدة ذات اهمية كبرى تحملنا على البحث في مكانة هـذه اللغة الأمورية بين اللغات السامية. وبعد انهاء البحث في القضايا اللغوية فاننا سنبحث عن المسائل الدينية التي ستساعدنا على فهم مكانة هؤلاء الأموريين في حياة غربي آسيا حوالي عام ٢٠٠٠ ق. م. وبذلك نظهر بان اسماء كثير من آلهتهم قد وجدت في مناطق مختلفة في المناطق السامية الغربية. وسنستخدم لأجل هـذا البحث الدراسات التي قام بها المسيو دوسن Dossin والراهب جان عن نصوص ماري وسندخل في هذه الدراسة وثائق ترقا Terga وهي تل عشارة الحالية عاصمة مقاطعة « خانة » التابعة لمملكة ماري التي استخدم اسماءها العالم « باور ». ولنا الأمل بان نشر الوثائق التي وجدت ونتائج التحريات الأثرية التي ستبدأ من جديد ستأتي بما يكمل هذه المحاولة المتواضعة الموقتة.

ملاحظات لغوية : ان لغة لوحات ماري هي اللهجة البابلية القديمة للغة الأكادية، ويكاد الانسان لايجد سوى كلمات قليلة تظهر تأثير السامية الغربية. ومن السهل ان ندرك تفوق الأكادية كلغة كتابية واسبابها هي الحاجة الى لغة وحيدة للتبادل من جهة وأهمية الحضارة البابلية التي تطورت في ظلها من جهة اخرى. وتحارير تل العمارنة هي احسن مثال لاستعمال اللغة الأكادية كلغة دولية. ولأجل التعرف الى لغة الاموريين في ماري فانه يجب دراسة اسماء الأعلام. ومن الواضح ان هذه الوثائق لا تعطي سوى اشارات محدودة عن لغة سكان ماري ومفرداتهم في نهاية الألف الثالث ومطلع الألف الثاني.

١) الخصائص الصوتية للغة ماري : من المعلوم ان حرف « الواو » في بدء الكلمة في السامية القديمة قد احتفظت به اللهجات الأشورية البابلية القديمة في اللغة الاكادية، وكذلك اللغات السامية الجنوبية كالعربية الشمالية والجنوبية والحبشية. ولكن هذا الحرف قد اصبح « ياءً » في اللغات الشمالية كالكنعانية والاوغاريتية والآرامية. واننا نلاحظ في اسماء الاعلام

في ماري كثرة وجود حرف « الياء » غير ان حرف « الواو » قد بقي في بعض الحالات وبما ان هذا الامر قد لوحظ في كلمة « وقر » المستعملة في اسم كينو وقر (اي العزيز جداً) مما يذكرنا بالكلمة العربية « وقر » (بينما في العبرية كلمة « يَقر » مستعملة) فانه يمكن القول ان هنالك تشابها بين لغة ماري وبين اللغة العربية .

وهنالك تشابه بين الامورية في ماري وبين مجموعة اللغات السامية الغربيـة في بعض الاصوات كالحاء والعين . فاللغة ربما عرفت هذه الاصوات التي كانت مجهولة في السومرية ، ولكنها لم تكتبها ، حتى ان كلمة « صعن » العبرية التي تعني « وضع الحمل على الدابة » والتي تقابلها بالعربية « ظعن » تكتب بالاكادية « صانو » او « صينو » . والاسماء في ماري يظهر فيها حرف الهاء المشدد الذي لا بد انه كان يمثل احدى هذه الاصوات اي العين أو الحاء مثل كلمة « هبدو » اي عبد ، وكلمة يسمه اي يسمع ، وكلمة « بهلي » اي بعلي ويظهر انهم ظلوا يلفظون هذه الحروف باصواتها الاصلية بينما نقشتها الكتبة بالاسلوب الوحيد الذي مكنتهم منه الكتابة المسمارية وهو الهاء المشددة .

ونشاهد من جهة التصريف ان الاكادية تدغم حرف « النون » السكائن في اول الكلمة مع الحرف الذي يليه احياناً ، وكذلك تفعل العبرية والآرامية . ولكن الامورية في ماري لا تجري ذلك الادغام كما يظهر في كلمة « ينتن » (اي يعطي) في اسم « ينتن دجن » (اي الاله دجن يعطي) ، وهذا ما يحصل ايضاً في العربية . على اننا من جهة اخرى نشاهد ان هنالك اسم « يقمّ آدّو » (اي الأله حدد ينتقم) وفيه الفعل الاموري « نَقَمُوم » الذي يشبه الفعل العربي « نقم » ، ولكن حرف النون في اول الكلمة يدغم مع الحرف الثاني في المضارع فيصبح يَقّم بدلاً من « ينقم » .

وهنالك تشابه بين لغة ماري الامورية وبين العربية في استعمال صوت « السين » بدلاً من « الشين » التي تستعملها العبرية والاكادية . فبينما نرى في العبرية فعل « شَمَع » وفي الاكادية « شيمو » نشاهد في العربية « سَمِع » وفي الامورية « يَسمَه » اي يسمع وبينما نشاهد في العبرية « شم » وفي الاكادية « شُمو » بمعنى « اسم » نرى في العربية « اسم » وفي الامورية « سُمو » . ولكن من جهة اخرى تبتعد الامورية عن العربية حيث تستعمل هذه صوت الشين والأمورية صوت السين فتقترب بذلك من الآرامية ، فهنالك مثلاً كلمة « إباسر » الأمورية (بمعنى التبشير) وهي تعادل العربية « بشر » وكذلك كلمة « ناسو » الأمورية بمعنى « نشأ » العربية « ونسا » العبرية والآرامية التدمرية . وعلى ذلك فان الامورية

تقترب احياناً من العربية في هذه الناحية وأحياناً اخرى من الآرامية . غير انها تبتعد عن الآرامية في استعمال صوت « التاء » التي هي في العربيـة « ثاء » وفي الأمورية وسائر اللغات تنقلب إلى « شين » مثل اسم « يشوب دجن » اي « دجن يعود » ويقابلها في العربية فعل « ثاب » وفي الآرامية « تاب » .

٢) الخصائص الصرفية : يلاحظ ان الضمير المتصل للمتكلم في حالة الجمع يتخذ شـكل « نا » في لغة ماري الأمورية في نهاية الفعل كما في العربية والآرامية كما يتضح من فعل « يبتحرنا » اي « يجمعنا » بينما الأكادية تتخذ شكل « ني » والعبرية والكنعانية « نو » . وكذلك يقترب الاسم الاموري في حالة الرفع من الاسم الآرامي باستعمال « الألف » في نهاية الاسم كما في « صورا حامو » اي « حامو هو الصخرة » اما في صيغة المضارع فنجد ان الحرف الأول مفتوح في لغة ماري كما في العربية بينما الحرف الأول في الاكادية مكسور . ففي لغة ماري نجد فعل يَسمه اي يَسمع ، وينتن (التي تقابل العربية يعطي) .

الخصائص المتعلقة بالمفردات : هنالك طائفة من الأسماء والأفعال والنعوت واسماء الأعلام المركبة في لغة ماري الأمورية والتي نجدها في اللغات السامية الغربية انما لا نجدها في الأكادية وإذا وجدناها فان معناها يختلف . فهنالك على سبيل المثال كلمة « بن » بمعنى « ابن » في جميع اللغات السامية الغربية والغير موجودة في الأكادية . وفعل « ستر » بمعنى « حمى » الظاهرة في اسم « ستري آدو » اي « حدد هو حامي » ويظهر هـذا الفعل في العبرية والآرامية والعربية بشكل « ستر » أيضاً ، وهو غير معروف بالاكادية . وفعل « حدق » كما نجده في اسم « موتو حدقيم » اي « الالـه موت هو الحامي » حيث يعني الفعل « حمى » او « أحاط » ونجده في العربية بنفس الشكل . وكلمة « يمن » اي الجنوب الموجودة في العبرية والعربية بشكل « يمين » . وكلمة « كبكب » بمعنى نجم التي نجدها في « ايلا كبكبو اي « الاله هو نجمي » وتظهر هذه الكلمة بشكلها البدائي في لغة أوغاريت (رأس شمرة) ولكنها تظهر بالعربية والعبرية بشكل « كوكب » بينما الأكادية أدغمت حرف الباء فأصبحت « ككبّو » . وكلمة « نفش » بمعنى الروح او الحياة كما نجدها في اسم « نفشي آدو » اي « حدد هو حياتي » ، والكلمة هذه نجدها في العبرية والآرامية بنفس الشكل ، وفي العربية بشكل « نفس » ، والأكادية تستعمل شكلاً مؤنثاً هو « نبشتو » . وكلمة « نتن » بمعنى أعطى المعروفة في الآرامية والعبرية والمستعملة في الأكادية بشكل « ندنو » إنما المجهولة في اللغات السامية الجنوبية . وكلمة « عزب » بمعنى « أنقذ » كما نجدها في اسم

« يعزب رسف » اي « الاله رشف ينقذ » . والكلمة موجودة بهذا الشكل بالعبرية بينما في العربية والأكادية تعني « ترك » . وكذلك نجد في لغة ماري المفردات : عقب ، عير (بمعنى حمار) ، عم ، عمق ، صدق ، قتل ، شمال وغيرها .

على أن هذه المفردات التي ذكرناها هي احوال شاذة بين مجموعة الكلمات الأكادية الموجودة في ماري . وهنا يتساءل الانسان اذا كان يمكن اعطاء بسبب رأي هذه المفردات عن علاقة الآموريين بمختلف الشعوب السامية العربية . فلقد لاحظنا أنه من أصل ست وثلاثين كلمة تمكنا من اثباتها ، هنالك خمس عشرة كلمة آمورية مشتركة مع جميع اللغات السامية الغربية ، وخمس كلمات مشتركة مع العبرية والآرامية ، وأربع مشتركة مع العبرية والعربية ، وسبع لا توجد إلا في العربية ، وخمس لا توجد إلا في العبرية . وهذا البحث الذي حاولناه يظهر صعوبة ربط الآموريين في ماري والفرات الأوسط باحدى الجماعات السامية الغربية . ويجب الاكتفاء والحالة هذه بأن نشاهد في اللغة الآمورية أقدم مثال للسامية الغربية في عصر كانت تتكيف فيه الخصائص اللغوية المختلفة التي تطورت فيما بعد ، فخرجت منها تلك اللهجات الصادرة من هذا الأصل المشترك .

آلهة الاموريين في ماري : يستعين الباحث هنا كما في بحث اللغة بالأسماء المذكورة في لوحات ماري . فقد وجد دوسن Dossin في المحفوظات الاقتصادية لوحة تذكر حساب الخرفان المضحاة لمختلف آلهة المدينة ، ولكن بين هذه الآلهة عدد كبير معروف في عداد آلهة السومريين الأكاديين . وهذا التفوق لآلهة جنوبي بلاد الرافدين يرجع الى نفس السبب الذي يرجع اليه استعمال اللغة الأكادية . فقد تأثر الآموريون الذين أسسوا سلالة بابل الأولى ، وكذلك الآموريون في ماري بالديانة السومرية كما تأثر قبلهم الفاتحون الساميون الذين أسسوا سلالة آكاد . على أن بين اسماء الآلهة نجد بعض الأسماء التي احتفظت بها الديانة الشعبية او تلك التي كانت لها مكانة في الماضي قبل الاحتكاك بديانة جنوبي الرافدين . وسنهتم بذكر الآلهة التي لا نجد لها ذكراً في جنوبي الرافدين أو التي يظهر أن أصلها ليس من تلك المنطقة لنتبين جوهر ديانة ماري الأصلية ، وسنرى أنها تشبه ديانة الساميين الغربيين . على أن ذلك لا يعني دائماً انها من أصل سامي غربي . فقد يجوز انهم عبدوا في ماري ليس فقط آلهة أجدادهم

الرحل التي لم تكن معروفة في سومر وآكاد ، وإنما استعانوا بعناصر مصدرها في الجنوب فتطورت عندهم أشكال الهية لم يلبثوا أن نقلوها إلى سكان المناطق الغربية . ولذا فيمكن القول ان ماري ربما لعبت دور مركز لنشر هذه المفاهيم الالهية . وعلى كل فان ما يلفت النظر هو العلاقات التي ربطت الآموريين في الفرات الأوسط بالساميين الغربيين الذين لم يكتبوا أسماء آلهتهم بشكل نقوش إلا بعد مدة طويلة .

مير وايتور مير : تبدو أهمية الأله « ايتور مير Itur Mer » على لأئحة دوسن . وكانوا يضحون له ستة خرفان . والاسم مؤلف من « مير » وهو الاسم الالهي ، وايتور ومعناه « عاد » او « رضي » حسب تفسير آخر . وقد يجوز ان « مير » هو الذي كان أصل تسمية « ماري » المسماة أيضاً « ميرا » في مقدمة قانون حمورابي . ويقول البعض أن اسم « مير » أصله غربي بينما يرى البعض الآخر انه سومري ومعناه العاصفة . على أنه لا يظهر بين الآلهة السومرية الاكادية بينما نجد له أثراً في العالم السامي الغربي . ويرى دوسّو أنه لقب من القاب حدد . على أن هنالك ذكر للاله آدّو (حدد) بصورة مستقلة في ماري . وربما كانت ماري مركز انتشار هذا الاله الذي كانت أصوله في سومر .

حدد : يذكر هذا الاله بشكل « آدو » في لوحة حسابية من ماري ، وكذلك يظهر بهذا الشكل في النصوص الآكادية اعتباراً من سلالة بابل الأولى (سلالة حمورابي) . على أن أصله غربي ، واسم « آدو » هو بالحقيقة حدد أو هدد ، أي « الذي يكسر » اذ من المعلوم أن الأكاديين لم يتمكنوا من كتابة « الهاء » السامية . وهنا يمكن ايجاد اتصال بين هذا الاسم وبين فعل « هد » في اللغة العربية . وقد كانت للاله « حدد » اهمية كبرى عند الساميين الغربيين كما يتضح من نقوش زنجرلي الارامية ، ومن أسماء ملوك دمشق الاراميين (بن حدد) ، ومن اهتمام الآشوريين بتقديم الاضاحي للاله حدد الحلبي . كذلك كان الكنعانيون في أوغاريت (رأس الشمرة) يذكرون حدد بدلا من بعل ويرى دوسو أن حدد هو الاسم الحقيقي لبعل رأس شمرة . وفي الميثولوجيا الفينيقية نجد أن ملك الالهة يسمى آدودوس كما ورد في كتابات سنخنياتون . والشكل المختصر « آد » يظهر في أسماء الأعلام الاكادية منذ سلالة بابل الأولى ، وفي الأسماء الامورية في ماري وخانة ، وفي الاسماء

الكنعانية القديمة المذكورة في وثائق تل العمارنة . ولذلك يجب القول بأن حدد او آدو هو إله أصله بين الساميين الغربيين وبنفوذ الاموريين أصبح من آلهة آكاد .

شمش شاشامه : ليس هذا الاسم سوى لقب الهي يعني « سيد السماء » ويجب فصله عن إله الشمس « شمش » وهذا اللقب كان يعطى لبعض الالهة المشهورة مثل مردوخ وآشور ، ومع أن الاله السومري « آن » كان يسمى « سيد السماء » فانه لم يتخذ قط لقب « الشمس » . ولذلك وجب القول أن هذا اللقب كان من أصل سامي غربي . وقد ورد في اسم « بعل شمين » عند الفينيقيين والاراميين .

عنات : ذكرت هذه الالهة في لائحة ماري وكانوا يقدمون لها خروفين . وقد وردت باسم « هنات » والهاء المشددة هنا تستعمل بدلا من (العين) في لغة ماري . وهذه الآلهة لا تذكر بين آلهة اكاد فهي من آلهة الساميين الغربيين وقد أدخلتها العناصر السامية في غزوة الهكسوس إلى مصر كما يتضح من بعض الأسماء هناك . وقد كانت معروفة في مصر باسم « آنتا » . كما أنها في نصوص اوغاريت كانت لها مكانة رئيسية ، واليهود أنفسهم عبدوها كما يتضح من نصوص المستعمرة اليهودية في الالفانتين (في مصر العليا) . وكذلك الآراميون عرفوا هذه الالهة واسمها يتألف منه اسم الآلهة اتارغاتيس في هيرابوليس (منبج) .

دجن : يذكر هذا الاله في لائحة ماري وكذلك في اسماء الاعلام التي ضمنها اسماء آلهة . كذلك نجد اسم هذا الاله في أسماء خانة وفي سلالة ايسن وفي سلالة بابل الاولى . واسمه متصل منذ عصر بعيد بمنطقة الفرات الأوسط . وقد عبد دجن في بلاد الرافدين الجنوبية في زمن اور الثالثة ، وربما كان أصله آمورياً . ويقول بعض العلماء ان هذا الاله اصله بين الساميين الغربيين واسمه متصل بكلمة « دجن » العبرية ومعناها « القمح » وان الساميين ادخلوه إلى بلاد سومر واكاد . وقد ورد هذا الاسم في لوحات تل العمارنة في اسم « دجن تكالا » كما ان داجون كان الاله الأكبر للساحل الفلسطيني وقد عبده الفلسطينيون . اما اذا كان أصله سومرياً كما يظن البعض مثل (دوسن) ، فهذا برهان آخر على الدور الذي لعبه الاموريون فى نشر الآلهة السومرية بين اخوانهم في الغرب .

وهناك آلهة لم تذكرها اللائحة الحسابية ولم تظهر في اسماء الأعلام . وربما كانت صفات

اتخذت شكل شخصيات الهية ومنها « ايل » الذي قد لا يكون إلهاً من النوع الذي ورد في اوغاريت او في الميثولوجيا الفينيقية . وهنالك « عمو » الذي نجده في اسماء ماري وسلالة بابل الأولى وفي جنوبي بلاد العرب ، وقد يكون عبارة عن لقب « عم » أعطي لبعض الالهة . وهنالك « ملك » الوارد في اسماء ماري وقد يكون اسماً إلهياً . وربما كان اول شاهد لوجود الاله « ملكم » المعروف في رأس شمرا وهو « مِلكُم » عند العمونيين و « ملك » الذي يظهر في الأسماء الاسرائيلية . وبما أن معنى هذا الاسم هو « ملك » فربما كان لقباً أعطي لبعض الالهة المعروفة . وقد يكون المقصود به « دجن » في مدينة ماري ، اذ هنالك نص آكادي يسمي « ملك » شارو شاماري اي (ملك بلاد ماري) ، ونحن نعلم أن لقب « ملك ماري » كان يعطى للاله دجن .

سالم : يظهر هذا الاسم في « يَتر سالم » اي « سالم ليس له مثيل » ولا نجد له ذكراً في بلاد آكاد ، وإنما نجده في البلاد السامية الغربية كما في رأس شمرة حيث يظهر بشكل « شلم » ، وفي اسماء الأعلام الاسرائيلية حيث اسماء « ابيشالوم » و « شيلومو » ، وفي بعض الأسماء الارامية مثل « أبيسلَمو » . وهنالك أسماء آشورية متأخرة يظهر فيها اسم شُلمان ولكنها من أصل سامي غربي .

يَرَخ : وهذا الاسم هو إله القمر ، ومن الطبيعي ان لا يظهر في بلاد الرافدين بسبب شهرة الاله القمر « سين » هناك . على ان « يرخ » يظهر في رأس شمرة وهو زوج « نيكال » . وقد يكون وجود هذا الاله في ماري مأخوذ عن الكنعانية . والاراميون يسمون الههم القمر « سحر » .

رشف : هذا الاله ليس معروفاً عند السومريين الأكاديين ، ولكنه موجود عند الغربيين ، وقد أخذه المصريون عن سورية وفلسطين في عهد فتوحات تحوتمس الثالث . ونجده في رأس شمرة وفي صيدا وقبرص ، وكذلك عند الاراميين في زنجرلي ، ثم في تدمر فيما بعد .

* * *

وهكذا فان معظم الالهة في ماري التي لا يمكن تفسيرها بالنفوذ السومري الاكادي يمكن الرجوع

بها إلى العالم السامي الغربي . وهذا البحث المختصر يحملنا على الاعتقاد بوجود تشابه كبير بين حضارة ماري الوطنية وحضارة الكنعانيين بصورة خاصة . وهو يثبت ما أظهرته لنا دراسة لغة ماري من أن الاموريين في ماري يرتبطون بأولئك الساميين الذين انتشروا في نهاية الألف الثالث من البحر المتوسط حتى الفرات والذين غالباً لم يكونوا بعد قد تفرقوا بين كنعانيين وآراميين وعرب . واكتشافات المنقبين الافرنسيين في ماري (تل الحريري) من حيث أنها وثائق تتعلق بأقدم سكان هذه المنطقة فانه يمكن اعتبارها جزءاً لا يتجزأ من التراث السوري .
